العرب
السبت 2021/07/10
السنة 44 العدد 12115

مصر تبحث عن محطة إخبارية ولديها قناة النيل مهملة

غياب الإرادة السياسية يعطل ظهور منبر ينافس المحطات الكبرى

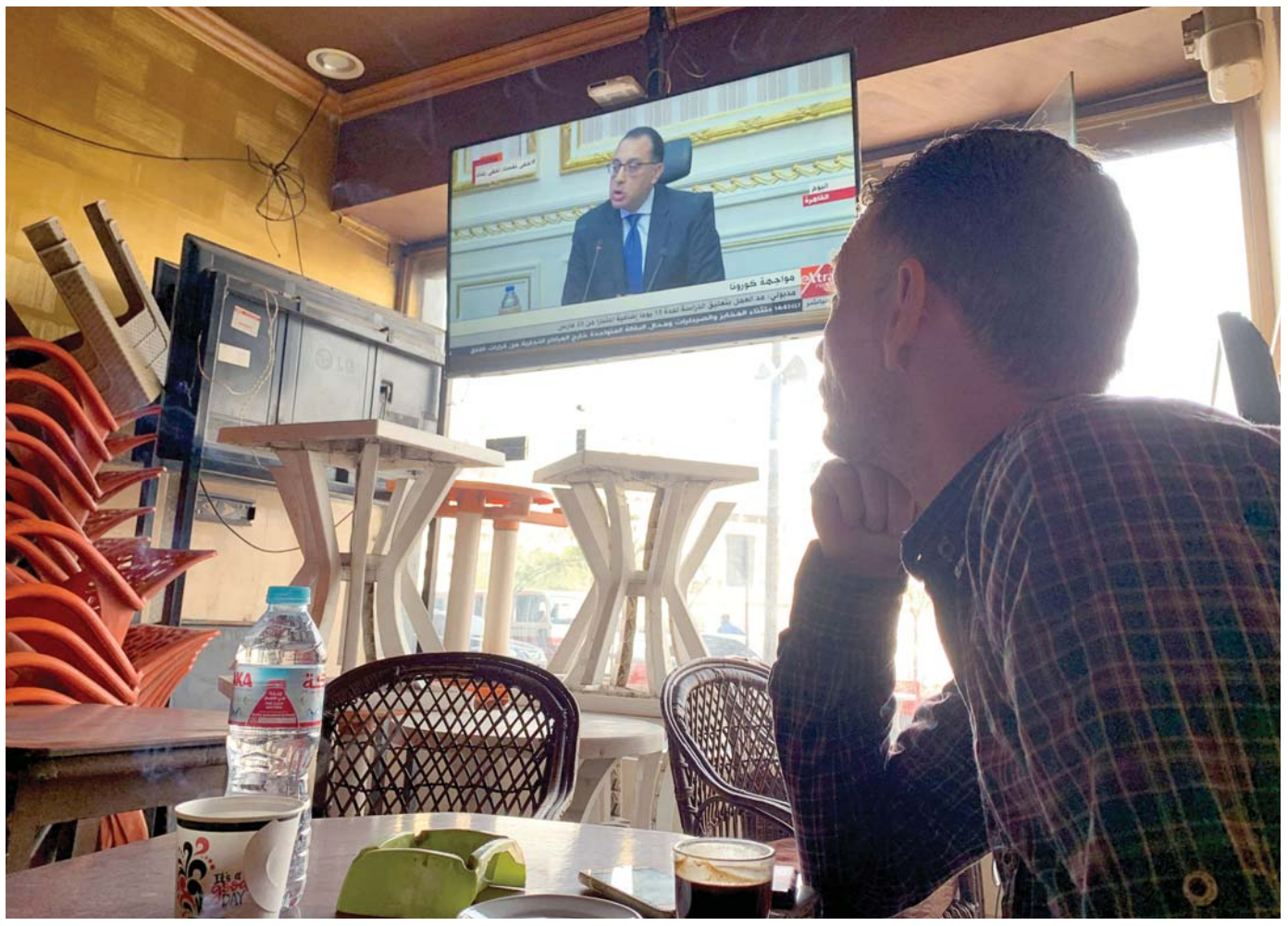

دماء الأخبار متفرقة بين القنوات

إخفاق الحكومة المصرية في إطلاق قناة إخبارية مؤثرة في محيطها الإقليمي مرتبط أساسا بأن الجهات المسؤولة عن إدارة ملف الإعلام لا تعرف ما هو المطلوب من الإعلام بالضبط في ظل إقصاء أصحاب الكفاءات المهنية والاعتماد على شخصيات إدارية.

القاهرة – بدأت الحكومة المصرية رحلة مضنية لإنشاء محطة إخبارية تعبر عن توجهات الدولة السياسية وتوصل صوتها للخارج برؤية تنسجم مع أهدافها. ومنذ ست سنوات بدأت القاهرة التفكير في إنشاء محطة جديدة، ولا تزال تفكر في هذا الأمر، ووعدت مؤخرا الإدارة الجديدة للشركة المتحدة التي تدير جزءا كبيرا من وسائل الإعلام في مصر بتدبير قناة عصرية إقليمية خاصة بالأخبار في غضون عام.

ويأخذ تجهيز هذه المحطة عاما أو أكثر إذا بدأ من نقطة الصفر، لكن إذا بدأ التجهيز من النقطة التالية يمكن أن يستغرق وقتا أقل وتتحقق خطوات عملية بشكل أسرع، فهناك نواة كبيرة يمكن البناء عليها في التلفزيون الرسمي ولا يلتفت إليها أحد، لذلك مضت أسابيع على وعد الإدارة الجديدة للمتحدة من دون رؤية ضوء في بداية النفق.

وفي كل مرة يأتي ذكر المحطة الإخبارية يتجاهل المسؤولون عن الإعلام أن هناك محطة رائدة اسمها "النيل للأخبار" انطلقت باللغتين العربية والإنجليزية وتأسست عام 1998 على يد الإعلامي حسن حامد، ويتم التعامل معها على أنها غير موجودة، ربما لأنها تابعة للتلفزيون الرسمي الذي يعاني من الإهمال والتردي، وربما لأن الحكومة لا تريد امتلاك قناة أخبار أصلا عليها أن توفر لها سقفا مرتفعا من الحرية، وربما ترتاح لترك دماء الأخبار متفرقة بين القنوات المختلفة لتوزيع المسؤولية.

وتشترك هذه الاجتهادات في أن الهدف يتمثل في إنشاء قناة بمواصفات خاصة بعيدة عن الجسم التقليدي للإعلام المصري، وأن هناك ترددا في هذه الخطوة يكشف عن غموض في الكثير من تفاصيلها، لأن خروج محطة إخبارية للنور لا يحتاج إلى معجزة.

ويشير خبراء إعلام إلى أن قناة "النيل" التي لا تزال تمارس عملها وفقا للحد الأدنى من الموارد المتوافرة لها، بما جعل الكثير من الضيوف يترددون في المشاركة عبر برامجها في ظل تدني نسبة المشاهدة، ورتابة القضايا السياسية التي تناقشها.

وظهرت هذه القناة مع الموجة الأولى للقنوات الإخبارية العربية في تسعينات القرن الماضي، وكان لها صدى إيجابيا داخل مصر وخارجها، واعتمدت على حماس مجموعة من الشباب حديثي التخرج في كليات الإعلام المختلفة، جرى اختيارهم بدقة بمعرفة حسن حامد، والإعلامية سميحة دحروج، وهما من جيل الرواد في اتحاد الإذاعة والتلفزيون المصري، وأتقنا المهنية وحرصا على نقل خبراتهما للشباب.

وقال حسن علي أستاذ الإذاعة والتلفزيون بجامعة قناة السويس بشرق القاهرة، وعضو سابق بلجان تطوير التلفزيون المصري، إن إخفاق الحكومة في إطلاق قناة إخبارية جديدة يرتبط بالاعتماد على شخصيات إدارية وليس على مستوى الكفاءة والمهنية مع غياب الرؤية وعدم استغلال القدرات البشرية الهائلة، وما زالت الجهات المسؤولة عن إدارة ملف الإعلام لا تعرف ما هو المطلوب من الإعلام بالضبط.

وأوضح لـ"العرب" أن الحكومة لا تمتلك رؤية واضحة لتطوير القنوات الإقليمية لتكون صوت مصر في الخارج، على الرغم من أن هذه المنابر تمتلك قدرات تحتاج فقط للدعم والتوظيف الصحيح، وللأسف طغت المنافع الشخصية لدى بعض المسؤولين على المصلحة العامة لتطوير قناة النيل للأخبار بأقل الإمكانيات.

والمثير للانتباه أن الكثير من كوادر قناة النيل للأخبار توزعوا على محطات عربية عديدة وأثبتوا جدارة وكفاءة، ومنهم من يعمل في البرامج الإخبارية في بعض القنوات المصرية العامة، ومن أسندت له مهمة تأسيس قناة "إكسترا نيوز" التابعة لشبكة "سي.بي.سي" والتي أصبحت تشبه مشروع القناة الإخبارية دون الإعلان عن ذلك، فطبيعة تغطيتها للأحداث تشي بأنها تحاول أن تستحوذ على هذه المساحة بحكم الأمر الواقع.

وكانت هناك تجربة أو مشروع قناة باسم "دي.أم.سي الإخبارية" التابعة لشبكة "دي.أم.سي" التي تملكها الشركة المتحدة، وجرى العمل عليه لمدة عامين انتهى بالفشل وتم تسريح المجموعة الفنية التي اختيرت للعمل فيه بعد توفير الكثير من الإمكانيات.

ويعتقد البعض من المراقبين أن مشروع المحطة الإخبارية له جوانب سياسية تفسر عدم خروجه إلى النور، ففي كل مرة يتم الحديث عنه وتوفير الكثير من الإمكانيات والبنية الأساسية اللازمة ثم ينهار، ويتجدد الحديث مرة أخرى ما يعبر عن عدم وجود إرادة حقيقية للوصول إلى هذا الهدف الذي يحمل مضامين إعلامية وسياسية أيضا.

ويعزز هذا الاستنتاج بأن محطة "النيل للأخبار" التي كانت قبيل نهاية عهد الرئيس الأسبق حسني مبارك محل اهتمام من قبل الحكومة وتم تزويدها بمعدات تقنية حديثة، لكن تبددت الجهود التي بذلت لدعمها وجرى وأد الحلم في ظروف غامضة كأن هناك من أراد أن تظل هذه المحطة تعمل في نطاق الحد الأدنى، أو موجودة وغير مؤثرة.

وتتمثل مشكلة هذه المحطة في أنها باتت منجرفة وراء دعم النظام المصري، وهذا لا عيب فيه، لكن الطريقة التي يعرض بها هذا الدعم تجاوزته الكثير من المحطات الإخبارية المحترفة والتي تريد تثبيت أركانها لدى المشاهد خارج الحدود.

وقد انعكست تجليات هذا التوجه على طبيعة برامجها التي تهتم بالمشاهد المصري المحلي، مع أن أي محطة إخبارية يجب أن تحرص على التنوع والتوازن ومعالجة وتحليل الأخبار بحرفية ورؤى موضوعية، ومن الضروري أن تظهر للجمهور هكذا لإقناعه بالمحتوى المقدم، بصرف النظر عن هوية الأجندة السياسية.

وكشف مصدر إعلامي عمل بالمحطة منذ انطلاقها، أن قناة "النيل" التي اختير اسمها مبكرا بعناية كان يمكنها أن تلعب دورا مهما في الأزمة التي تعيشها مصر حاليا بسبب سد النهضة الإثيوبي لو حرص المسؤولون على دعمها ووفروا لها الاحتياجات التي ترسخ أقدامها، فاسمها يكفي لجذب قطاعات كبيرة من المهتمين بأزمة السد لو نجحت في رسم صورة لها كمصدر مهم للأخبار والتحليلات في دول حوض النيل.

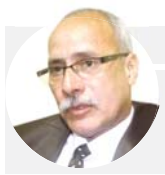

حسن علي

الحكومة لا تمتلك رؤية واضحة لتطوير القنوات الإقليمية

وأكد المصدر ذاته لـ"العرب" أن النسخة الإنجليزية منها أثبتت حضورا نوعيا، وجذبت الكثير من السفراء الأجانب في القاهرة لمتابعتها، ونجحت في استقطاب وجوه مصرية تجيد الإنجليزية لتوصيل رسالتها إلى العالم من خلال تعليقات اتسمت بالحياد.

وأضاف المصدر، الذي اعتذر عن ذكر اسمه، أن المشكلة تكمن في أن إنقاذ قناة "النيل" واختيارها كمحطة إخبارية تعرض وجهة نظر الدولة يتعارض مع محاولات تهميش كل المحطات التابعة لاتحاد الإذاعة والتلفزيون لحساب محطات منافسة ضمن سياسة التخلص من الأعباء المالية التي تسببها، بما انعكس على محطة "النيل" التي تركت لتواجه مصيرها الغامض وتموت إكلينيكيا في ظل عدم الاقتراب منها بالخير أو الشر.

وشدد الإعلامي حسن علي على أنه لا توجد إرادة سياسية ليكون لدى مصر منبر يضاهي محطات الأخبار الكبيرة، بدليل أن أغلب القائمين على إدارة المنظومة ليست لديهم استراتيجية واضحة، وإنقاذ الإعلام يأتي باستقطاب شخصيات تُدرك من أين يبدأ الإصلاح الجذري، وتغليب المهنية وفتح مساحات للحرية وترك المتخصصين يعملون بأريحية دون تدخلات من أي جهة، وقتها ستكون هناك محطة بأقل تكلفة.

> محطة «النيل للأخبار» يتم التعامل معها على أنها غير موجودة، لأنها تابعة للتلفزيون الرسمي الذي يعاني من الإهمال

النيل للأخبار

هل بإمكان الصحافي إعادة صناعة نفسه

كرم نعمة
كاتب عراقي
مقيم في لندن

كان صديقي المهندس يقول بإمكان أيّ انسان أن يكون صحافيا! بمجرد التفكير وقراءة ما يجري في العالم بذهن يقظ. وهذا ينطبق أيضا على قائمة أخرى من المهن. لكنه يقول أيضا بثقة واضحة ليس بإمكان أيّ شخص أن يكون مهندسا. في إشارة إلى استسهال العمل الصحافي.

يتعلق هذا الكلام كثيرا بالحديث المتداول حاليا عن إعادة النظر في خيارات المهن تحت وطأة الكساد الذي أصاب العالم جراء انتشار وباء كورونا وصدمة ما بعد الوباء.

عندما يتعلق الأمر بالصحافة فهي أصلا تعيش أزمة وجودية قبل انتشار الوباء، وهو ما عبّر عنه أحد الزملاء اللبنانيين بوصف حال الصحافيين اليوم بحال سائقي عربات الخيول مع اكتشاف السيارات في نهاية القرن الثامن عشر!

بالنسبة إليّ، أرى أن الخيار هو إعادة صناعة الصحافة وليس استبدالها، فليس بمقدور العالم التخلي عن الصحافة بوصفها الرقيب المثالي على الديمقراطية ومنع فساد الحكومات وهدر الأموال، وربط المجتمع بديمقراطية حرة من الأفكار والمعلومات. فالرجال الأقوياء الذين وضعوا العرف الأول للديمقراطية في العالم كانوا يفضلون دولة بلا حكومة على دولة بلا صحافة.

المؤسف أن تخلي الحكومات، خصوصا في العالم العربي، عن الصحافة المخلصة لجوهرها وترك الصحافيين يبحثون عن مصيرهم بأنفسهم، يتسبب بضرر بالغ للمجتمع. وإذا كانت الحكومات تهدف في ذلك إلى كتم الصوت المراقب لأدائها، وترك الصحافة تعيش أزمتها فإنها تدع البلاد تسير نائمة نحو المستقبل.

مع ذلك، تبتعد غالبية الحلول المقترحة للمستقبل الغامض للصحافة مع الكساد الذي أصابها في عصر الشركات التكنولوجية العملاقة، عن الأزمة الحقيقية، والتي يمثل الصحافيون الجزء الأهم فيها. جزء من المشكلة هم الصحافيون أنفسهم عندما يعجزون عن تقديم محتوى متميز.

وأعتقد أيضا أن تخلي الصحافي عن مهنته واستبدالها تعبير آخر عن العجز في إعادة صناعة مهنة حية ظل صناعها يوضعون في مرتبة المحظوظين عبر التاريخ.

يعترف داريل هوليداي الذي يعمل في منظمة صحافة مدنية غير ربحية في شيكاغو بأن فشل الصحافيين في تلبية حاجة المجتمع ليس سابقة في التاريخ، لذلك علينا أن نتساءل ما هي نوعية الأخبار التي يبحث عنها الناس اليوم، من أجل صناعة نماذج جديدة.

بإمكان الصحافي إعادة اختراع مهنته وليس التخلي عنها، كما يحدث لنسبة كبيرة من الصحافيين الذين افتقدوا إلى الثقة بالمستقبل.

لديّ مثال أستطيع أن أدافع فيه عن الصحافة بكونها صناعة حية عصية على الموت، وقادرة على تجديد الثقة الدائمة بأهميتها بتقديم نماذج جديدة واستعادة ثقة القراء والمحافظة المستمرة على الأوفياء منهم.

لوسي كيلاوي صحافية مرموقة في فايننشيال تايمز البريطانية، بقيت على مدار عقود ضمن فريق عمل الصحيفة البرتقالية التي توظف الأذكياء الذين يعرفون كيفية اكتشاف المواضيع المهمة وكتابتها بشكل رائع، وإعطاء القراء المزيج الصحيح مما هو مألوف ومدهش. الخبرة والمعرفة والممارسة والقدرة على الحكم والمهارة والذكاء كلها أمور تلعب دورا في اختيارات الصحافي لما يكتب.

لقد عاشت كيلاوي واحدة من أجمل الوظائف في الصحافة من خلال كتابة عمود لمدة 22 عاما، إلى درجة اعتبرت فيها جوهرة في تاج فايننشيال تايمز، ووصفها زميلها ليونيل باربر بأنها "صوت فريد من نوعه في مجتمع الأعمال".

مع ذلك قررت لاحقا إعادة اختراع نفسها وترك عملها الصحافي. لكن! من دون التخلي عن صحافيتها، والإبقاء على الحسن التحليلي الكامن في عملها الجديد كمُدرّسة رياضيات.

ولأن كيلاوي لا تريد قضاء حياتها بفعل الشيء نفسه، انتقلت إلى مُدرسة رياضيات بوظيفة صحافي منذ أكثر من عامين. كانت ناجحة في السابق، ولم يتراجع نجاحها اليوم. وليس كما يفكر بعض الزملاء بترك الصحافة لفتح مشروع تجاري أو مطعم "عن نفسي أمنحهم الحق والعذر الكاملين في خياراتهم" لكنني كصحافي أدافع هنا عن جوهر الصحافة.

مُدرّسة الرياضيات لوسي كيلاوي لازلت تكتب في فترات متباعدة مقالات حيوية محملة بأفكار جديدة، والتغيير الذي حصل في مهنتها من أجل التجديد في حياتها وعملها، ولأنها كاتبة ملهمة آرادت اختراع نفسها.

> الخيار الأمثل هو إعادة صناعة الصحافة بأفكار حية وليس استبدالها، فليس بمقدور العالم التخلي عن الرقيب المثالي على الديمقراطية ومنع فساد الحكومات وهدر الأموال

تعترف أنها كانت مترددة في البداية، مثل أيّ صحافي يقدم على هذا الخيار المصيري، وبعد عقود مضنية في مهنة أحبتها تساءلت "كيف يمكن إعادة اختراع نفسي، وأنا لم أخترع نفسي بالأساس". لكن هذا السؤال هو أهم الأسئلة الفلسفية التي يفترض بالصحافي أن يعيد إطلاقها على نفسه من أجل التجديد.

صحيح، أن الانسان لا يمكن إلا أن يكون على سريرته المعهودة التي وجد نفسه عليها، لكنّ الصحافيين وهم يعيشون الحجر تحت وطأة الوباء، مثل الملايين غيرهم ممن سئموا قضاء أكثر من عام وهم يحدقون في أجهزة الكمبيوتر في منازلهم، يفكرون بإلقاء المنشفة والانسحاب من الحلبة.

ووفق استطلاع جديد لشركة مايكروسوفت أجري أثناء الحجر الصحي العام، فإن 40 في المئة من جميع العاملين في أعمال مختلفة يفكرون في القيام بشيء آخر غير أعمالهم المعهودة. بالطبع الانسان يغيّر مهنته ليصبح بحال أفضل، ومع أن كل الدراسات النفسية تجمع على أنه لا يمكن التعويل على شهادة المرء عندما يتعلق الأمر بتقييمه لأدائه، فإن الواقع في هذه الحال مع الصحافي يصبح مضاعفا. الحدّاد لا يرى اختلافا كثيرا في حياته عندما يغير مهنته إلى نجار، لكن الصحافي يكون أشبه بالهارب من نفسه بمجرد ولوج عمل لا يمتّ بصلة للصحافة التي تعيش في دمه.

أنا هنا لا أشكك في إخلاص من تركوا الصحافة "مرغمين أو راضين" لجوهر المهنة. لكنني أرى أن ترك مهنة الصحافة يجب أن يتمثل بالعودة إلى الصحافة نفسها بنماذج جديدة مثل لوسي كيلاوي المدرسة التي بقيت صحافية. ذلك يعني أن الصحافي يعيد صناعة نفسه من جديد عبر أفكار حيوية. مثلما يجدد مهنة حية وأن تُجهز عليها حكومات وشركات ومصالح اقتصادية ثرية، لدق المسمار الأخير في نعشها كما يبدو لهم.